مظاهر التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام

د. شاكر مجيد كاظم(*)

نظرا لأهمية الطفل عند العرب فقد خصصوا لـه قدرا كبيرا من الأعراف والعادات والتقاليد الخاصة للعناية به، وانطلاقا من ذلك فقد آثرت ان أسلط الضوء في هذا البحث على أبرز مظاهر التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام(١) توضيحها بما يأتي:-

١- أغاني ترقيص الأطفال

ان من فطرة الأمهات الاهتمام بالأطفال، ومن مظاهر ذلك ما نراه متجسدا في أغاني الأطفال إذ حرصت الأم ومن خلال المزاوجة بين التقاليد والأعراف الموروثة وما تفرزه تلك الأغاني من آمال وطموحات في الرغبة بالسيادة والزعامة لأطفالها والسلامة وطول العمر لذا فقد لجأنا إلى ذكر الأنماط التي تعمد المرأة إلى نهجها.

(*) قسم التاريخ - كلية الآداب / جامعة البصرة.

(١) التنشئة الاجتماعية هي عملية تربية وتعليم فمن خلالها يكتسب المرء العادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات الروحية الخاصة بمجتمعه، كما انها تشمل تعليم الطفل على الرضاعة المنظمة، والفطام، والمشي، والغذاء، واللغة واحترامه للأبوين والاخوة وللآخرين، كما ان التنشئة الاجتماعية تُعد من أهم العمليات الاجتماعية وأخطرها شأنا في حياة الفرد إذ لولا عملية التنشئة الاجتماعية ما تكونت الشخصية الإنسانية أصلاً، للمزيد من المعلومات عن ذلك راجع، شاكر مجيد كاظم، التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، ص١ وما بعدها.

يوجد في تاريخ العرب قبل الإسلام أغاني للأطفال والموسومة بـ(أغاني المهد) أو (أغاني ترقيص الأطفال)[٢] أو (شعر الترقيص)[٣] حيث كانت المرأة العربية تلاعب طفلها وتناغيه وتداعبه وترقصه لتدخل على نفسه السرور، وتبعد عنه السأم والحزن، وقد شاركها زوجها في ذلك وبعض الكبار المحيطين به[٤] ولكن الأمهات اكثر مزاولة للترقيص وخبرة، وهن أندى صوتاً من الرجال وأصبر على مداعبة الأطفال وتهدئتهم، كما ان للتنغيم فوائد منها:- تسكين طباع الطفل عند البكاء ومساعدته للنوم[٥] علما بان شعر الترقيص يُوقع – رجز – وهو يؤثر على الطفل بإيقاعه السريع، وبما ينقله من شعور بحب الكبار وحمايتهم، وحنينهم، ولا ننسَ ان الترقيص مبني على الحنان والحب والفرح بوجود الطفل، وقد جاء ذكر أشعار الترقيص في الموارد العربية[٦]، وألفت حوله بعض الكتب وكان من أقدمها كتاب:- الترقيص، لمحمد بن المعلى الازدي[٧]، وهو من الكتب التي لم تصل إلينا، وردت له إشارات في المصادر الأخرى[٨]، كما انها حضيت بدراسة

(٢) عبدالعزيز المقالح، الطفل في الأدب العربي، مجلة الكتاب، عدد (٦) بغداد، ١٩٧٥، ص٢٨٤.

(٣) عادل جاسم البياتي، الطفولة ورموزها، مجلة الآداب، عدد (٢٣) ، جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص٥٧٤.

(٤) الابشيهي، المستطرف: ٢٥٨/٢؛ احمد عيسى بك، الغناء للأطفال عند العرب، ص٢٢.

(٥) ابن الجزار، سياسة الصبيان، ص٦٨ – ٦٩.

(٦) القالي، الامالي: ١١٥/٢ – ١١٧؛ البكري، سمط اللآلي: ٧٤٣/٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ط صادر، بيروت: ٥٨/١٠.

(٧) عالم نحوي لغوي له مصنفات عدة منها شرح ديوان تميم بن مقبل، للتفصيل راجع، ياقوت، معجم الأدباء: ١٠٧/٧.

(٨) السيوطي، بغية الوعاة، ص١٠٦؛ البغدادي، خزانة الأدب: ٤١/٤؛ الزبيدي، تاج العروس: ٤٦٥/١٠؛ حاجي خليفة، كشف الظنون: ٤٠١/١.

عدد من الباحثين المحدثين[٩] علماً بان أشعار ترقيص الأطفال ظاهرة عرفتها الشعوب الإنسانية[١٠] وتكثر في كل اللغات[١١].

وأشعار الترقيص هي ضرب من التغني أو الإنشاد بالفخر والمدح والدعاء للطفل، واكثر ما يستخدم للتفاؤل بمستقبل الطفل[١٢]، روي ان النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) دخل على عمه الزبير بن عبدالمطلب وهو صبي فأقعده في حجره وقال:-

محمد بن عبد م عشت بعيش أنعم ودولة مغنم
في فرع عز أسخم مكرم معظم دام سجيس الازلم[١٣]

وتعد أغاني الأطفال من (أقدم أنواع الأغاني الشعبية على الإطلاق وأوسعها انتشارا)[١٤].

ورب سائل يسأل:- هل الطفل الذي يُحمل ما بين الأيدي يفهم معاني الكلام الذي يُرقص به؟ اننا لا نستطيع ان ندّعي أن الطفل يفهم هذه المعاني، لكننا لا ننس ان اخوته الأسن منه كانوا يسمعونها من أمهم مثلا إذا ما رقصت أطفالها فيفهمونها

(٩) احمد عيسى بك، المرجع السابق، ص١ ـ ٩٧؛ سعيد الديوه جي، أشعار الترقيص عند العرب، ص١١ـ٤٧؛ محمد الجوهري، الطفل في التراث الشعبي، مجلة عالم الفكر، مجلد (١٠)، عدد (٣)، الكويت، ١٩٧٩، ص٤٥.

(١٠) أورد (كارل بروكلمان) في مؤلفة تاريخ الأدب العربي: ٤٧/١ بعض المقاطع الشعرية الخاصة بترقيص الأطفال عند قبائل (الهو توت) و(الهريرو) في جنوبي ؛ ملى حميد حاتم العكيلي، التنشئة الأسرية واثرها في أحداث القلق، ص٢٥.

(١١) عبدالعزيز المقالح، المرجع السابق، ص٢٨٤

(١٢) عادل جاسم البياتي، المرجع السابق، ٥٧٤، سجيس الازلم:- أبد الدهر، الزمخشري، أساس البلاغة، ص٢٠٢.

(١٣) السهيلي، الروض الأنف: ٧٨/١؛ البكري، المصدر السابق: ٧٤٣/٢.

ويتأثرون بها[١٥]، وبذلك سوف تؤثر في تنشئتهم، ويكون لها اثر في خلقهم وسلوكهم، وأوضحت الدراسات الانثروبولوجية التي قامت بها الباحثة (مركريت ميد) أن مداعبة الأم لطفلها أثناء رضاعته لها اثر كبير في تنشئته وسلوكه في المستقبل وبذلك كشفت عن وجود علاقة وثيقة بين أساليب التنشئة للأطفال وبين أخلاقهم وطبائعهم عند الكبر[١٦].

ومن خلال دراستنا للموضوع وحسب فهمنا لاغاني ترقيص الأطفال عند العرب قبل الإسلام يمكن تقسيمها من حيث المضمون إلى ما يأتي:-

أشعار تعبر عما يتمنى الكبار للصغار في حياتهم المستقبلية من السيادة والزعامة في أقوامهم كقول (أم الفضل بنت الحارث) الهلالية وهي ترقص ابنها عبدالله بن عباس:-

ثكلتُ نفسي وثكلتُ بكري ... إن لم يَسُدْ فهراً وغير فهر

بالحسبِ العد وبذل الوفرْ ... حتى يوُارى في ضريح القبر[١٧]

والبعض الآخر كانت تتوسم في طفلها امارات السؤدد والكرم والشجاعة كما قالت (فاطمة بنت أسد) أم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ابنها عقيل:-

أنت تكون ماجد كريم ... إذا تهب شمال بليل[١٨]

---

(١٤) محمد الجوهري، المرجع السابق، ص٤٤.

(١٥) محمد احمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص١١٧.

(١٦) للتفصيل راجع منى حميد حاتم العكيلي، التنشئة الأسرية وأثرها في أحداث القلق العصابي، ص٢٥

(١٧) القالي، المصدر السابق: ١١٧/٢؛ محمد بن ظفر الصقلي، أنباء نجباء الأبناء، ص٧٩؛ ابن حجر، المصدر السابق: ١٢٣/١، ١٢٤؛ احمد عيسى بك، المرجع السابق، ص٢٢، ٣٦، ٣٩؛ سعيد الديوه جي، المرجع السابق، ص٢٤ (قطعة رقم ٣٠)؛ السيد محمد تقي الحكيم، عبدالله بن عباس: ٤١/١.

(١٨) البلاذري، انساب الأشراف: ٨٩/١؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١١٩؛ سعيد الديوه جي، المرجع السابق، ص ٢٠، ٢٢، ٣١.

ومن الأمهات من كانت تتوقع ان يكون ابنها سيداً كريما كآبائه بسيادتهم وعزهم وتأمل ان يكون نبعة من هذه الدوحة[١٩].

وبعضهن كن يتوسمن في أبنائهن امارات الدهاء[٢٠] في حين كان البعض الآخر ينوه بقوة الشبه به كقولهم:-

احب ميمون اشـــد حب اعرف منه شبهي ولبي

ولبه اعـرف منـه ربـــي[٢١]

وبعضهن كانت تعبر عن فرحتها وسعادتها بابنها وتفتخر بأنها لا تدانيها أم أخرى سروراً بابنها[٢٢].

كما أتخذ أشعار الترقيص للأطفال وسيلة للتعريض بين الزوجين، فقد تزوج رجلاً بامرأة قصيرة الأعضاء، سيئة الخلق والخُلق ولم يكن مرتاحا منها، فولدت له غلاما، فكان إذا رقصه، يعرض بزوجته فيقول

وهبته من ذات ضغن خبه[٢٣] قصيرة الأعضاء مثل الضبة[٢٤]

تعيا كلام البعل الا سَـبّه

اما هي فكانت تعير زوجها بكبر سنه، وضعف بدنه، وانه لا يقوى على

---

(١٩) ابن دريد، الاشتقاق، ص١٢٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٢٧٨/١؛ البغدادي، المصدر السابق: ٤١/٤؛ سعيد الديوه جي، المرجع السابق، ص١٥.

(٢٠) محمد بن ظفر الصقلي، المصدر السابق، ص٥٢؛ احمد عيسى بك، المرجع السابق، ص٩٤؛ سعيد الديوه جي، المرجع السابق، ص٢٧.

(٢١) ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٤٣٩/٢؛ عمر الدسوقي، الفتوة، ص٣٩.

(٢٢) الابشيهي، المصدر السابق: ١٤/٢؛ سعيد الديوه جي، المرجع السابق، ص٣١.

(٢٣) الضغن: الحقد، خبه: مفسده لئيمة، أي انها خداعة تسعى بالشر بين الناس.

(٢٤) أي انها تشبه الضبة (الورل) بقصرها، وانها تعجز عن التكلم مع زوجها ولا تعجز عن سبه.

العمل، فتقول إذا رقصت ابنها:-

وهبته من مرعشٍ[٢٥] من الكبر شرنفح[٢٦] وريده مثل الوترْ

بئس الفتى في أهله وفي الحضر[٢٧]

وتزوجت أعرابية من رجل ثقيل الظل، بطيء الحركة، يحب الفساد بين الناس، لئيما، فكانت إذا رقصت ولدها عرضت بما في زوجها من خصال ذميمة، فقالت:-

وهبته من ذي ثقالٍ خبّ[٢٨] يقلب عينا مثل عين الضبّ

ليس بمعشوق ولا محب

فاخذ الزوج ابنه، يرقصه، ويعرض بزوجته وما فيها من خصال، كان ينفر منها ويقول:-

وهبتهُ من سلفع أفوك سرحٌ إلى جاراتها ضَحوكِ[٢٩]

ومن هبلّ قدعسا حنيك اشيب ذا رأس كراس الديك[٣٠]

وتزوج أعرابي بامرأة سوداء، دميمة الخلقة، فكان يرقص ابنه ويعرض بزوجته فيقول:

---

(٢٥) مرتعد لأنه طاعن في السن لا يقوى ان يثبت إذا سار أو وقف.

(٢٦) خفيف القدمين، ويشبه وريده الوتر لأطفالها اشتد وصلب ولا يكون هذا الا في الطاعنين بالسن.

(٢٧) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص١٠٨؛ احمد عيسى بك، المرجع السابق، ص٨٤ – ٨٥.

(٢٨) الثقال: البطء، الخب: المفسد اللئيم، الضب: مشهور بخديعته.

(٢٩) السلفع: امرأة سليطة جريئة وقيل هي البذية الفحاشة، وافوك:- الكذابة، سرح: سريعة الذهاب إلى جارتها، ضحوك: كثيرة الضحك والهبل: الضخم المسن، وحنيك: مجرب، للمزيد راجع احمد عيسى بك، المرجع السابق، ص٨٢.

(٣٠) سعيد الديوه جي، المرجع السابق، ص٤٢.

وهبته من أمة ســـوداء ليست بحسناء ولا جملاء[٣١]

كـأنها خلفـــة خنفســاء

وكانت هي لا تحب زوجها، لأنه كـان كـهلاً، فكـانت إذا رقصـت ابنـها، تـرد على زوجها فتقول:

وهبته من أشمطِ المفـــارق ليس بمعشوق ولا بعاشـــــق

وليس ان فارقني بنافق[٣٢]

أهمية أغاني الأطفال

اما عن أهمية أغاني الأطفال فعن طريـق دراسـة نصوصـها وتحليلـها يمكـن التوصل إلى اوجه أهميتها والتي تتجلى بما يأتي:

١- تُعد أغاني ترقيص الأطفال واحـدة من أقدم أنـواع الأغـاني الشـعبية وأكثرها انتشارا.

٢- من خلالها يمكن معرفة الكلمات والمفردات والألفاظ اللغوية التي كانت تستخدم في التعبير عن الأفكار والآراء في تلك الفترة ومعرفـة بيـان تطورهـا التـاريخي من خلال اندثار وظهور كلمات وجمـل، قيل ان النبـي (صلـى الله عليـه وعلـى اله وسلم) مر بامرأة سوداء ترقص صبياً لها وهي تقول:

ذؤال يا ابن القوم يا ذؤالـــه يمشي الثطا ويجلس الهبنقعه[٣٣]

---

(٣١) جميلة

(٣٢) ابن طيفور، المصدر السابق، ص١٠٩؛ سعيد الديوه جي، المرجع السابق، ص٤٥ – ٤٦.

(٣٣) اشمط: اشيب، راجع الزمخشري، المصدر السابق، ص٢٤١. والمفارق جمع مفرق، شعر وسط الـرأس. نفق المتاع: راجح وكثر طلابه، أي انه إذ فارقها لا يجد من يتزوج بها، لقلة الرغبة فيه.

فقال (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) لا تقولي ذؤال فانه شر السباع[٣٤].

٣- تتميز أغاني الأطفال بوضوح ارتباطها الاجتماعي فهي تعبير عن العادات والتقاليد والمعتقدات التي كانت سائدة بالمجتمع.

٤- كما تسهل علينا معرفة الأحداث التاريخية المرتبطة ببعض أغاني ترقيص الأطفال عند العرب قبل الإسلام

٥- انها تعبير صادق عن المناسبات التي يحتفل بها المجتمع والخاصة بالأطفال.

٦- كما ان لها ميزة أساسية الا وهي صفة الاستمرار عبر الزمن فهي عرفت منذ فترات سحيقة ولازلنا نسمع صدى تلك الهدهدة والأغاني والترقيصات في بيوتنا إلى الوقت الحاضر.

٢- العقيقة

ومن مظاهر التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، واعتزازاً منهم بالطفل والفرح بمقدمه وتكريم وفادته ذبح شاة والتي تعرف بأسم (العقيقة وهي من الذبائح التي كانت الجاهلية تفعلها)[٣٥]، وقيل للذبيحة عقيقة لانها تذبح فيشق حلقومها ومريئها وودجاها قطعا[٣٦]، وكانوا يذبحونها في اليوم السابع من مولده[٣٧]

(٣٤) الثطا: يخطو كما يخطو الصبي، الزبيدي، المصدر السابق، ط صادر: ٥٨/١٠، وقيل الثط مشي الأحمق، راجع الزمخشري، أساس البلاغة، ص٤٤، والهبنق، القصير الخلق، المتقارب الأعضاء، ابن دريد، الإشتقاق، ص٣٥٧.

(٣٥) الزمخشري، المصدر السابق، ص٤٤؛ الزبيدي، المصدر السابق، ط صادر : ٨/١٠.

(٣٦) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص٣٦، انظر كذلك الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٢٣٥.

(٣٧) ابن منظور، لسان العرب: ٢٥٨/١٠.

قال ابن السكيت:- عق فلان عن ولده إذا ذبح عنه يوم أسبوعه[٣٨] ويعلن أيضا عن اسم المولود الذي يعرف به[٣٩] قال الطبرسي:- (وعق أبو طالب عن رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) يوم السابع فدعا آل أبي طالب فقالوا:- ما هذا؟ فقال عقيقة احمد)[٤٠] في حين هنالك روايات ذكرت ان النبي (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) لما ولد أمر عبدالمطلب بجزور في اليوم السابع من مولده ودعا رجال قريش فلما طعموا قالوا لعبدالمطلب ما سميت ابنك هذا قال سميته محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)[٤١] وهذا يوضح لنا ان العرب قبل الإسلام كانت تعق عن المولود وتعلن اسمه خلال الأسبوع الأول من مولده.

وعادة العقيقة كانت تمارس عند العديد من الأقوال فقد عرفها اليهود والنصارى[٤٢] كما لها ذكر في الأدب العربي القديم حيث وردت في شعر امرئي القيس إذ أنشد قائلا:

أيا هند لا تنكحي بوهه عليه عقيقته احسبا[٤٣]

إما عن المراسيم التي كان يجريها عرب قبل الإسلام بشأن العقيقة فيحدثنا عنها (بريده الأسلمي)[٤٤]: (قال كنا في الجاهلية إذا ولد لأحدنا غلام ذبح شاة ولطخ

---

(٣٨) الطبرسي، المصدر السابق، ص٢٣٥؛ ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص٣٤؛ عبدالفتاح الصعيدي، الافصاح في فقه اللغة، ص١.

(٣٩) إصلاح المنطق، ص٤٤، وانظر كذلك النووي، تهذيب الأسماء: ٣٢/١.

(٤٠) جواد علي، المفصل: ٧٢/٥.

(٤١) مكارم الأخلاق:، ص٢٣٥.

(٤٢) ابن كثير، السيرة: ٢١٠/١؛ ابن الوردي، تاريخ: ١٢٨/١؛ الحلبي، السيرة الحلبية: ٢٨/١.

(43) Princeton, N. J and S. M. zwemer, Behold the Lamp of God. PP. 327 – 328.

(٤٤) ديوانه، ص١٢٨؛ وانظر كذلك، الزبيدي، المصدر السابق: ٣٢٤/٥؛ عبدالمتعال الصعيدي، مختارات الشعر الجاهلي، ص٧٣.

رأسه بدمه)[٤٥] تبركا به فان دم الذبيحة كان مباركا عندهم، ولم يكتفوا بذلك فقط بل كانوا يلطخون منه آلهتهم تعظيما لها وأكراما[٤٦] ولعل لذلك صلة بالقرابين[٤٧] وطريقة التقرب إليها إذ كانوا يلطخون النصب حول الكعبة بدم الحيوان ويعلقون عليها اللحم[٤٨]، وربما أراقوا الدماء على الصنم نفسه[٤٩] فقد كان (الغبغب) مذبحا للإله العزى ينحرون فيه الذبائح[٥٠] وكانوا يقسمون لحوم هداياهم فيمن حضرها وكان عندها[٥١].

ولما جاء الإسلام أقر العقيقة فقد ثبت مشروعيتها بالسنة النبوية عن ابن عباس ان النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) عق عن الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) كبشا كبشا[٥٢] وقيل كبشين كبشين[٥٣] وفي الحديث النبوي ان (الغلام مرتهن بعقيقته)[٥٤] تذبح عنه في اليوم السابع ويحلق رأسه

(٤٥) بريده بن حصيب بن عبدالله بن الحارث الاسلمي، صحابي، من ساكني الكوفة، ثم رحل إلى خرسان ومات بمرو، أيام حكم يزيد بن معاوية، راجع، خليفة بن خياط، الطبقات، تحقيق اكرم ضياء العمري، ص١٠٩، ٣٢٢.

(٤٦) ابن قيم الجوزيه، تحفة المودود، ص٣٣.

(٤٧) ابن قيم الجوزيه، المصدر نفسه، ص٣٣.

(٤٨) محمد محمود جمعة، النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، ص٨٢.

(٤٩) مصطفى عبداللطيف جياووك، الحياة والموت في الشعر الجاهلي، ص٤٣.

(٥٠) محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص١٥٢.

(٥١) ابن الكلبي، الأصنام، ص٢٠.

(٥٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١٨٦/٤.

(٥٣) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٤٧٧؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ٥/٢، ٢٧؛ أعلام الهداية، إصدار المجمع العالمي لأهل البيت: ٤٤/٤، ٥٣/٥.

(٥٤) الشيخ الصدوق، عيون اخبار الرضا: ٢٨/٢، ٢٩؛ الحاكم النيسابوري، المصدر نفسه والطبعة، ص١٤٤٧.

ويسمى[٥٥] ولكن الإسلام قد هذب الذبح للمولود عما كانت عليه[٥٦] وهدم كل العادات التي لا تتفق مع المبادئ والقيم الإسلامية، فقد جاء بالحديث النبوي الشريف النهي عن ان يمس رأس الوليد بدم العقيقة[٥٧].

وهكذا نلاحظ ان الإسلام أقر الذبح وابطل لطخ رأس الصبي بدمها، واستعاض بعضهم عن ذلك بوضع الزعفران وهو من أطيب أنواع الطيب وألطفه وأحسنه لونا[٥٨].

والعقيقة من الولائم التي يدعى الناس إليها عند العرب قبل الإسلام للمساهمة بفرح أهل المولود حينما يحلقون شعر رأسه لأول مرة أي الشعر الذي ولد فيه[٥٩] وفي هذه المناسبة تقام مجالس البهجة وينشد فيها الغناء[٦٠]

اما عن فوائد العقيقة فمن خلال ما تقدم يتضح لنا أنها نوع من القربان للإله يقرب به عن المولود لحفظه وسلامته، كما أن فيها معنى الشكر للإله بما منّ عليه ورزقه غلاما، كما أنها مناسبة لإظهار الفرح والسرور وجمع شمل أبناء الحي والقبيلة فتكون فرصة طيبة للالتقاء بعد سوء التفاهم الذي قد يحدث بين بعض الأفراد

---

(٥٥) الروياني، مسند الروياني: ٤٥/٢، ٥٥؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٢٧٤/٦، ٢٠١/٧، ٢٢٩؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، جـ٤، ص٢٦٤؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٣٠٣/٩.

(٥٦) العلامة الحلي، قواعد الأحكام: ٩٧/٣؛ ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص٣٤.

(٥٧) للمزيد من المعلومات عن ذلك راجع الشيخ الصدوق، فقه الرضا، ص٢٣٩؛ الفاضل الآبي، كشف الرموز في شرح المختصر النافع: ١٩٧/٢ – ١٩٨.

(٥٨) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة: ٦١/٥؛ الشيخ الصدوق، المصدر السابق: ٢٩/٢.

(٥٩) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص٣٣، ٥٦.

(٦٠) الفيروز أبادي، القاموس المحيط: ٢٦٦/٣، الجاحظ، البخلاء، ص٣٠١؛ الشريف المرتضى، الامالي: ٢٨/١.

وإعادة الصفاء والود بينهم، بالإضافة إلى انها تمثل مناسبة تجمع الناس على إطعامهم.

واعتقد ان العقيقة كان يقوم بها الناس الأغنياء في القبيلة دون سواهم.

٣- حلاقة الشعر

لما كان العرب قبل الإسلام يُعقون عن المواليد أي انهم كانوا ينحرون كبشا أو نحو ذلك كما بيناه سابقا، كذلك أنه كان من عادتهم حلاقة شعر المولود لان اصل العقيقة هي الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد وانما سميت تلك الشاة التي تذبح في تلك الحال عقيقة لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح[٦١] للشاة.

وقد يصاحب أثناء حلق شعر المولود أن يدمى رأسه[٦٢].

ويبدو لي ان حلاقة رأس الصبي بعد ولادته تحمل معاني دينية من باب القربان والطاعة للإله فقد ذكر أنه كانت عملية حلق الشعر تعتبر شعيرة دينية ذات بال وتحاط بكثير من الطقوس والمراسيم عند العديد من الشعوب[٦٣] ولعل هذا يفسر لنا ما ذكر بشأن العرب بأنهم كانوا يحلقون رؤوسهم عند أصنامهم[٦٤].

وعندما يكبر الصبي ويترعرع فان حلاقة شعر الرأس تستمر معه حيث كانوا يحلقون بما يعرف بـ(القزع)[٦٥] وهو ان يحلق رأس الصبي ويترك مواضع

(٦١) نهاية الارب: ١٦٨/٤ وما بعدها عن المفصل: ١٠٨/٥.

(٦٢) المبرد، الكامل في الأدب: ٢٨٠/٢؛ الثعالبي، فقه اللغة، ص٣٤٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ٢٥٨/١٠؛ ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ٢٢٣/١.

(٦٣) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص٧٨.

(٦٤) علي عبدالواحد وافي، غرائب النظم: ٣٤/١.

(٦٥) ابن الكلبي، الأصنام، ص١٤، ٤٨؛ ابن الأثير، المرصع، ص٢٧٩.

منه متفرقة غير محلوقة[٦٦] وهنالك أربعة أنواع من القزع أنفرد بذكرها ابن قيم الجوزية:

الأول: ان يحلق من رأسه مواضع من ههنا وههنا.

الثاني: ان يحلق وسطه ويترك جوانبه.

الثالث: ان يحلق جوانبه ويترك وسطه.

الرابع: ان يحلق مقدمهُ ويترك مؤخره[٦٧].

وقد ذكر القزع في الشعر العربي القديم[٦٨] وروي ان (لبيد بن ربيعة) في صباه كان رأسه مقزعا وقد أثبت ذلك في شعره حيث يقول:-

يا رب هيجا هي خير من دعه إذ لا تزال هامتي مقزعه[٦٩]

وفي الحديث ان رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) نهى عن القزع[٧٠].

وقد أفرد صاحب كتاب (البرصان والعرجان) باباً تحت عنوان: (القزعان والقُرعان) ذكر فيه ان (عبدالله بن جدعان) كان أقزع[٧١].

---

(٦٦) القزع مأخوذ من تقزع السحاب وهو تقطيعه ومنه حديث الأم علي (عليه السلام) (فيجتمعون إلينا كما يجتمع قزع الخريف) أي قطع السحاب المتفرقة وانما خص الخريف لأطفالها أول الشتاء والسحاب يكون فيه متفرقاً غير متراكم، أنظر بشأن الخطبة؛ ابن الأثير، المرصع: ٥٩/٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ط صادر: ٤٦٦/٥.

(٦٧) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ٥٩/٤؛ ابن منظور، المصدر السابق: ٢٧١/٨؛ الزبيدي، المصدر السابق: ٤٦٦/٥.

(٦٨) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص٨٠.

(٦٩) الأعشى، ديوانه، ص١٥٧:- قوم بيوتهم أمن لجارهمُ يوما إذا ضمت المحذورة القزعا

ابن الكلبي، انساب الخيل، ص٧٨؛ الشريف الرضي، الامالي: ١١٢/١.

(٧٠) البغدادي، خزانة الأدب: ١٧٢/٤.

(٧١) ابن سلام، غريب الحديث: ١٨٣/١؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ٥٩/٤؛ الزبيدي، المصدر السابق، ط صادر: ٤٤٦/٥.

ومن الطريف عن حلاقة رؤوس الصبيان بطريقة القزع ما ذكره ابن حبيب حيث قال:- ان من النساء الحمقى (ريطه بنت عامر بن نمير) كانت تُعلم[٧٢] رؤوس بنيها بالتقزيع وهم (قرط) و(قريط) و(عمرو) بنو (عبد بن أبي بكر) لتعرف أولادها من أولاد ضرتها (هند بنت هلال بن سمي) الفزارية فأخذت ضرتها (عمراً) أبنها فحلقت القزع عن رأسه وادعته فغلبتها عليه[٧٣].

ومن افضل الأوصاف وأحسنها بيانا قول يزيد بن الطثرية حين حلق أخوه (ثور) جُمته:-

فأصبح رأسي كالصخيره أشرقت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها[٧٤]

وقال آخر:-

حلقوا رأسه ليكسوه قُبحا غيرة منهم عليه وشحّا

كان صُبحا عليه ليل يهيمُ فمحوا ليلهُ وأبقوه صُبحا[٧٥]

وقد عرف العرب باهتمامهم بشعر الرأس يغسلونه ويسرحونه[٧٦] كما أنهم يقومون بفرق الشعر وهو من الفطرة عندهم[٧٧]. اما إذا سال الشعر من الرأس حتى يغطي الجبهة والوجه فانهم يطلقون عليه (الغمم) يقال:- رجل أغم الوجه، وكذلك إن سال في القفا يقال (أغم القفا) وذلك مما يذم به[٧٨] والعرب تحب (النزع)[٧٩] الذي

(٧٢) الجاحظ، البرصان، ص٥٤٩.

(٧٣) تعلم: تؤشر أو تميز.

(٧٤) ابن حبيب، المحبر، ص٣٨٢، وانظر كذلك ابن الجوزي، اخبار الحمقى، ص٩٥.

(٧٥) ابن رشيق، العمدة: ٢٤٢/٢.

(٧٦) ابن رشيق، م. ن: ٢٤٢/٢.

(٧٧) محمد احمد جاد المولى، أيام العرب، ص١٤٤.

(٧٨) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٩.

(٧٩) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص١٢٢.

أنحسر الشعر عن[٨٠] جانبي جبهته[٨١] وتتيمن بالانزع وتتشاءم بالأغم، وتزعم ان أغم القفا والجبين لا يكون الا لئيما ومنه قول (هدبه بن الاشرم):-

ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا[٨٢]

لذلك قالوا:- إذا اجتمع الفقر والنزع، قل الجزع، وإذا اجتمع الفقر والغم تضاعفت الغمم لان العرب عندهم ان بعض الخلق يدل على الكرم، وبعضها يدل على اللؤوم[٨٣].

٤- الختان

من العادات المرتبطة بالتنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام عادة الختان الذي كان معروفا عندهم[٨٤] وهي واحدة من المناسبات التي يحتفل بها العرب في حياة الطفل[٨٥].

والختان اسم لفعل الخاتن[٨٦] ويسمى به موضع القطع أيضا ومنه الحديث:- (إذا التقى الختانان وجب الغسل)[٨٧] ويسمى في حق الجارية:- خفضا وفي حق

(٨٠) الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣٢٩.

(٨١) الزبيدي، تاج العروس، صادر: ٥٢١/٥؛ ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص١٢٢.

(٨٢) الزبيدي، م. ن.، صادر: ٥٢٢/٥.

(٨٣) الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٣٢٩.

(٨٤) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص١٢٢، هامش رقم ٣.

(٨٥) جواد علي، المفصل: ٧٢/٥؛ خليل احمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص٢٤.

(٨٦) مليحة رحمة الله، الطفل عند العرب، مجلة المؤرخ العربي، عدد (٢٦)، ١٩٨٥، ص١٩٢.

(٨٧) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص١١٩.

الغلام:- ختنا، والعرب تطلق لفظ (أعذار) على عملية الختان سواءً في الذكر[٨٨] أم الأنثى[٨٩] والمعذور هو:- المختتن[٩٠].

وكانوا يطلقون على المرأة التي تتخذ الختانة حرفة لها اسم الخافضة، فقد ذكر انه لما هاجرت النساء إلى رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) (هاجرت فيهن امرأة يقال لها أم عطية[٩١] وكانت خافضة تخفض الجواري) وقد اقر الرسول (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) عملها حيث قال لها:- يا أم عطية العمل الذي في يدك هو في يدك اليوم . ثم نصحها فقال إذا أنت فعلت فلا تنهكي وأشمي[٩٢] فانه اشرق للوجه واحظى عند الزوج[٩٣].

وفي يوم أحد مر (سباع بن عبد العزى) الغبشاني وكانت أمه ختانه بمكة على (حمزة بن عبدالمطلب) فعيره بذلك، فلما التقيا ضربه (حمزة) فقتله[٩٤].

والختان من العادات القديمة والكلمة ترتد إلى اصل قديم[٩٥] وقد مارسته العديد من الشعوب فقد كان معروفا عند السومريين والبابليين والآشوريين وتم العثور على آثار حجرية تؤيد معرفة تلك الأقوام بالختان[٩٦]، ونحن لا نتفق مع ما

(٨٨) ابن قيم الجوزية، م. ن، ص١١٩؛ وأنظر كذلك الزمخشري، أساس البلاغة، ص١٠٣.

(٨٩) الزبيدي، المصدر السابق، ط الكويت: ٥٤٣/١٢.

(٩٠) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص١١٩.

(٩١) الجاحظ، البخلاء، ص٢٩٩؛ ابن دريد، الاشتقاق، ص٥٣٨.

(٩٢) ابن دريد، م. ن، ص٢٣٦؛ الزبيدي، المصدر السابق، ط الكويت: ٥٤٢/١٢.

(٩٣) جواد علي، المرجع السابق: ٧٢/٥.

(٩٤) راجع عنها: ابن حجر، الإصابة: ٤٧٧/٤.

(٩٥) لا تنهكي: لا تبالغي في القطع، الزمخشري، أساس البلاغة، ص٤٧٥. اشمي: اقطعي قليلاً.

(٩٦) الجاحظ، البيان والتبيين: ٢١/٢، للمؤلف نفسه، الحيوان: ٢٨/٧؛ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٢٣٩، وفيه منسوب إلى (أم حبيبة) بدل من (أم عطية)؛ ابن حجر، الإصابة: ٤٧٧/٤.

ذهب إليه أحد الباحثين عندما قال ان عادة الختان لم تكن متبعة أو شائعة عند تلك الأقوام[٩٧] وكذلك عرفه العبرانيون[٩٨] حيث كانوا يحتفلون بمراسيم ختان الأطفال لديهم[٩٩] كما انه كان معروفا عند سكان سوريا وفلسطين[١٠٠] وعند اليمنيين القدماء[١٠١] وعند سكان أفريقيا الأوائل[١٠٢] وكذلك عند المصريين القدماء[١٠٣] حيث عثر المنقبون على صورة لعملية الختان مرسومة على قبر يعود تاريخه إلى عام (٢٦٠٠) ق. م.[١٠٤] كما حصلنا على لوحة تمثل قيام الكهان المصريين بختان الأولاد أنظر شكل رقم (١)[١٠٥] وكذلك عرف أهل الحبشة عادة الختان[١٠٦].

---

(٩٧) ابن هشام، السيرة: ٧٦/٣؛ الطبري، تاريخ: ٥١٧/٢. وسباع هذا هو أبن عبد عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن غيشان، من بني ملكان بن أقصى، أنظر أبن حزم جمهرة انساب العرب، ص٥٣٢.

(٩٨) فريزر، الفولكور في العهد القديم: ٤٣٣/٢ – ٤٣٤.

(٩٩) هاري ساكز، عظمة بابل، ص٢١١.

(١٠٠) شريف يوسف، في التقاليد والعادات السومرية والبابلية، مجلة التراث الشعبي، عدد (٥-٦)، بغداد، ١٩٧٦، ص١٤.

(101) Michael Grant, the Jews in the Roman word, P. 7; John. M. aLLeGrO, the chosen people, p. 37; enceclopaeda BIBLiCA Adictionary of the BiBLE. Vol. 1. P.829,
موسكاتي، الحضارات السامية، ص١٤٩؛ حامد احمد صالح، اليهود حول ماضيهم وحاضرهم، ص١٣٠؛ لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص٥٧؛ ثروت أنيس الاسيوطي، نظام الاسرة بين الاقتصاد والدين، ص١٦٧.

(١٠٢) علي عبدالواحد وافي، الأضحية في الأسرة، مجلة الدارة، عدد (١)، الرياض، ١٩٧٩، ص٢١٥.

(١٠٣) هيرودوتس، تاريخ، مجلد١، الكتاب الثاني، ص١٥٤.

(١٠٤) جواد مطر الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص١٩٧.

(١٠٥) خليل احمد خليل، مضمون الأسطورة، ص٢٤.

(١٠٦) هيرودوتس، تاريخ، مجلد١، الكتاب الثاني، ص١٥٢، ١٥٤.

والختان من المناسبات المبهجة في حياة الأسرة قبل الإسلام وبعده لذلك يولم الناس ولائم لهذه المناسبة يدعونها (العذيره) والجمع (الأعذار)[١٠٧] ولازال بعض الناس يقيمون تلك الولائم إلى الوقت الحاضر وهذا دليل على استمرار العادات والتقاليد الاجتماعية وانتقالها من جيل إلى آخر.

والختان من السنن التي سنتها الشريعة السمحاء[١٠٨] وهو من الفطرة التي فطر الله الناس عليها روي عن النبي (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) انه قال:- (الفطرة خمس:- الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، وتنظيف الإبط)[١٠٩] فجعل الختان رأس خصال الفطرة. وكان واحدا من المسائل التي ابتلى الله سبحانه وتعالى بها إبراهيم عليه السلام[١١٠].

وذكر ان الختان كان يُعدّ نوعا من القرابين للتقرب للإله باعتبار ما فيه من تضحية وايلام[١١١] وكانت القرابين تشمل الضحايا البشرية فكان الإنسان يُقدم مع القرابين الأخرى من الحيوان والثمار[١١٢] ثم اكتفوا بتقديم (جزء من الإنسان بدلا من ان يضحي بالإنسان كله وكان هذا الجزء هو ما يقتطع في عملية الختان وقد بقيت عملية الختان رمزا للتضحية)[١١٣].

---

(١٠٧) حسن كمال، الطب المصري القديم، مجلد٢، جـ٣-٤، ص١٤٥.

(١٠٨) ص٢٠

(١٠٩) فريزر، المصدر السابق: ٤٣٣/٢ – ٤٣٤.

(١١٠) الجاحظ، البخلاء، ص٢٩٩؛ ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص١٣٦.

(١١١) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٢٣٨ – ٢٣٩.

(١١٢) احمد بن حنبل، مسند احمد: ٤١٠/٢؛ البخاري، صحيح: ٢٢٠٩/٥، ٢٣٢٠؛ مسلم، صحيح: ٢٢١/١؛ ابو داود، سنن: ٨٤/٤؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان: ٢٩٣/١٢؛ البيهقي، السنن الكبرى: ١٤٩/١.

(١١٣) مسائل الفطرة كما يروى عشره:- خمس في الرأس وهي المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وقص الشارب، وخمس في الجسد وهي:- الختان، وحلق العانة، ونتف الإبطين، وتقليم الأظافر،

وجاء في سفر التكوين انه عندما وصل (إبراهيم) عليه السلام إلى ارض كنعان قام بختان نفسه مع اتباعه بطلب من الألـه[١١٤]، وروي:- أربع من سنن المرسلين:- التعطر، والنكاح، والسواك، والختان[١١٥] وقد استمر الختان بعد (إبراهيم) (عليه السلام) وهو من العادات التي توارثتها الأجيال في تنشئتها لأطفالها وقد بقيت في الإسلام لأنه أقر قسم من قيم العرب التي كانت توافق في جوهرها جوهره ومن تلك القيم الأختتان[١١٦] وقد ضرب العرب في الختان الأمثال فقالوا:- (بألم ما تُختَنّ)[١١٧].

والعرب كانت لا تطلق كلمة (حنيف) الا على من أختتن وحج البيت فقد نقل أبن منظور قول الاخفش حيث قال: (وكان في الجاهلية يقال لمن أختتن وحج البيت حنيفا لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت)[١١٨]، ويتفق معه في ذلك أبي عبيدة حيث يقول:- ان (الحنيف في

والاستنجاد، للتفصيل راجع، ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٩؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣٢٤/٣؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص٤٦؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٩٨/٢، ابن الوردي، تاريخ: ١١٥/١؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ١٧٢/١؛ الالوسي، بلوغ الارب: ٢٨٧/٢.

(١١٤) يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص٣٤٨.

(١١٥) الكتاب المقدس، سفر التكوين الثاني، فصل ١٦، فقرة (٣)؛ بيغوليفسكايا، العرب على حدود بيزنطة، ص١٠١ تقول الروايات انه في سنة ٥٤٥م وقع أحد أبناء (الحارث بن جبلة) ملك الغساسنة أسيرا في يد (المنذر بن ماء السماء) ملك الحيرة فقدمه ضحية للآلهة العزى، للتفصيل راجع: نولدكه، أمراء غسان، ص١٨؛ صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٥٨؛ السيد عبدالعزيز السالم، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، ص٢٢٩؛ سعد زغلول عبدالحميد، في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص٢٢١، رشيد عبدالله الجميلي، تاريخ العرب قبل الاسلام، ص١١٧.

(١١٦) احمد شلبي، مقارنة الأديان، ص٢٠٩.

(١١٧) الكتاب المقدس، سفر التكوين، الفصل ١٧، الفقرة (٢٣).

(١١٨) ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١٩/٤.

الجاهلية من كان على دين إبراهيم سميَ من أختتن وحج البيت حنيفا)[١١٩] ونظير ذلك ما ذكره الزجاجي حيث قال ان العرب قبل الإسلام ما كانت تطلق كلمة حنيف الا على من كان يحج البيت ويختتن[١٢٠] وقال ابن قيم الجوزية ان (العرب قاطبة كلهم كانوا يختتنون) حتى كانت أمة العرب تدعى بامة الختان[١٢١] وهذا يساعدنا على الاستنتاج على ان جميع العرب كانوا حنفاء، وهذا يخالف ما ذكر بشان الحنيفية بانها (مبدأ أفراد كثيرين منتشرين هنا وهناك يدعون إلى نبذ الشرك والميل إلى التوحيد والإعراض عن العادات الذميمة والامتناع عن أكل الذبائح التي اهلت لغير الله)[١٢٢] ويذكرون منهم:- (زيد بن عمرو بن نفيل)[١٢٣] و(سويد بن عامر)[١٢٤] و(قس بن ساعده الايادي)[١٢٥] و(زهير بن أبي سلمى)[١٢٦] و(امية

(١١٩) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٩؛ الجاحظ، الحيوان: ٢٧/٧؛ إبراهيم فوزي، احكام الأسرة في الجاهلية والإسلام، ص٦٤.

(١٢٠) الميداني، مجمع الأمثال: ١٠٧/١.

(١٢١) ابن منظور، لسان العرب: ٥٧/٩ – ٥٨ (حنف)، وقد ذكر ان من معاني الحنيفية في اللغة:- المائل من خير إلى شر ومن شر إلى خير، أو كان على دين إبراهيم، أو اعتزل عبادة الاصنام، ويغتسل من الجنابة.

(١٢٢) مصطفى عبداللطيف جياووك،، الحياة والموت في الشعر الجاهلي، ص١١.

(١٢٣) الامالي، ص٢، وأنظر كذلك شوقي عبدالحكيم، مدخل لدراسة الفولكلور، ص٩١.

(١٢٤) تحفة المودود باحكام المولود، ص١٣٦، ١٤٦.

(١٢٥) علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص٧؛ وأنظر كذلك محمد عبدالقادر بافقيه، في العربية السعيدة، ص١٥٥؛ سعد زغلول عبدالحميد، في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٣٥٨؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام العام: ٧٣/١ – ٧٤؛ هاشم يحيى الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٤١٧ – ٤١٨.

(١٢٦) ابن هشام، السيرة: ٢٢٣/١؛ ابن سعد، الطبقات: ٢٧٦/٣ – ٢٧٧؛ ابن الأثير، اسد الغابة: ٢٣٦/٢؛ السيد عبدالعزيز السالم، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، ص٤٨٨.

بن أبي صلت)[١٢٧] و(أبا ذر الغفاري)[١٢٨] وغيرهم.

ويبدو لي ان هنالك لبسا وقع فيه بعض الباحثين[١٢٩] عندما درسوا الحنيفية لانهم لم يدرسوها من جميع معانيها وجوانبها بشكل شمولي وإجمالي وانما نظروا إليها من زاوية معينة الا وهي نبذ الشرك والميل إلى التوحيد[١٣٠] ولذا فانهم لم يصلوا إلى ما تقصده العرب من كلمة الحنيفية وعلى من يطلقونها بشكل دقيق ولو عرفوا ذلك لما قالوا انه مبدأ أفراد منتشرين هنا وهناك هذا من جهة، ومن جهة أخرى ان (الحنيفية قبل الإسلام ليست دين التوحيد)[١٣١] وهي (كلمة لا تعني جماعة معينة ودينا خاصا كما هو الحال في اليهودية والنصرانية والإسلام)[١٣٢] إذا ماذا كان يقصد العرب من كلمة حنيف؟ عند العودة إلى المعاجم اللغوية ذكرت: أنه من كان على دين إبراهيم فهو حنيف عند العرب وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون نحن حنفاء على دين إبراهيم، فلما جاء الإسلام سمو المسلم حنيفا ولم تتمسك العرب بالجاهلية من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت[١٣٣].

اما بشأن عبادة العرب الأصنام رغم كونهم حنفاء وذلك لأنهم كانوا يقولون ان إبراهيم كان مشركا وعابدا للأصنام حسب زعمهم ولذلك نجد ان الله سبحانه

---

(١٢٧) بن حبيب، المحبر، ص١٣٦؛ الالوسي، بلوغ الارب: ٢٥٩/٢ ـ ٢٦٠.

(١٢٨) الجاحظ، البيان والتبيين: ٥٠/١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام: ٧٤/١.

(١٢٩) لويس شيخو، شعراء النصرانية، ص٥١٠ ـ ٥٩٥.

(١٣٠) لويس شيخو، م. ن، ص٢١٩ ـ ٢٣٧؛ محمود سليم الحوت، المرجع السابق، ص٣٤.

(١٣١) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص٩٦.

(١٣٢) راجع هامش رقم ٤ أعلاه.

(١٣٣) رشيد الجميلي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٢١١.

وتعالى ما ذكر إبراهيم في القرآن الكريم الا ونفى عنه الشرك (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[١٣٤]، (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[١٣٥]، (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[١٣٦]، حتى انهم عندما صوروا إبراهيم (عليه السلام) صوروه وهو يستقسم الازلام فقد روي ان رسول الله(صلى الله علية واله وسلم) دخل البيت الحرام يوم فتح مكة سنة ٨هـ/٦٣٠م ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم (عليه السلام) مصورا في يده الازلام يستقسم بها فقال: قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ثم تلا قوله تعالى (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[١٣٧] ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست[١٣٨] فمكث (صلى الله عليه واله وسلم) وصلى ركعتين وخرج[١٣٩].

إذن فأن من معاني كلمة حنيف انهم كانوا يطلقونها على من كان مختونا ويحج البيت وبهذا المعنى فانها تخرج من دائرة التفسير الضيق لكلمة الحنفاء التي

---

(١٣٤) مصطفى عبداللطيف جياووك، المرجع السابق، ص١١؛ دلال جويد تعبان، الحلف في الشعر العربي قبل الأسرة، ص٣٦.

(١٣٥) رشيد الجميلي، المرجع السابق، ص٢١١.

(١٣٦) الفراهيدي، العين: ٢٤٨/٣؛ الجوهري، الصحاح: ١٣٤٧/٤؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٦٧؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط: ١٣٠/٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ٥٧/٩؛ الزبيدي، تاج العروس: ٧٧/٦ (مادة حنف، في في هذا الهامش)

(١٣٧) القرآن الكريم، البقرة/١٣٥.

(١٣٨) القرآن الكريم، النحل/١٢٣.

(١٣٩) القرآن الكريم، النحل/١٢٠.

تشمل أفرادا معدودين منتشرين هنا وهناك إلى الدائرة الأوسع لتشمل جميع العرب قبل الإسلام الذين كانوا يختتنون ويحجوا البيت.

وللعرب بعض الآراء التي لا تخلو من فكر أسطوري فيما يتعلق بالختان كقولهم انه من ولد في ليلة قمراء تقلصت غرلته فكان كالمختون(١٤٠).

وروي انه نزلت قبيلة (عدوان)(١٤١) على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام لم يختتن، سوى من كان مختوناً منهم(١٤٢) وجاء في خبر آخر أن (عدوان) ارتحلت عن منزلٍ لهم، فعدَ فيهم أربعون ألف غلام غير مختون(١٤٣) وهذا الخبر وقرينه لا يخلوان من مبالغة وإسراف فإذا كان هذا عدد صبيانهم الذين لم يختتنوا فكم عدد أبناء القبيلة العام؟ الا ان الخبر يشير في طياته إلى كثرة عددهم.

والعرب ترى الفضيلة في الختان وتفخر به(١٤٤) ويُسمون الذي لايختن اغرل واقلف واغلف(١٤٥) ويعدونه ناقصاً ولهذا يذم الرجل ويشتم ويعير بأنه ابن القلفاء(١٤٦).

---

(١٤٠) القرآن الكريم، آل عمران/٦٧.

(١٤١) ابن هشام، السيرة: ٥٥/٤؛ الازرقي، اخبار مكة: ١٦٦/١.

(١٤٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٥٢/٢؛ المقريزي، إمتاع الأسماع: ٣٨٥/١.

(١٤٣) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص٣٧؛ محمود مصري، تدبير الأطفال، ص٤٨.

(١٤٤) تنسب قبيلة عدوان المبادئ عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر راجع، ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، ص٢٤٣ – ٢٤٤، ياقوت الحموي، المقتضب: ١٨١/٢.

(١٤٥) ذي الإصبع العدواني، ديوانه، ص١١؛ الأصفهاني، الأغاني، ط دار الثقافة: ٨٥/٣؛ ظافر القاسمي، الحياة الاجتماعية عند العرب، ص٣٠.

(١٤٦) ذي الإصبع العدواني، ديوانه، ص١١؛م. ن، ط١، دار الكتب المصرية: ٩١/٣؛ شيخو، شعراء النصرانية، ص٦٢٧.

وفي رواية ذكرها ابن إسحاق انه قُتل غلام كان مع (عثمان بن عبدالله)[١٤٧] يوم حنين وكان اغرل وبينما كان رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف، فكشف عن العبد فوجده اغرل فصاح بأعلى صوته يا معشر العرب:- يعلم الله ان ثقيفا غرل فقام (المغيرة بن شعبة) خوفا من ان تذهب عنهم في العرب وأخذ الأنصاري بيديه وقال له:- لا تقل ذاك انما هو غلام لنا، وجعل المغيرة يكشف للأنصاري عن القتلى ويقول له:- الا تراهم مختتنين[١٤٨].

اما عن سن الختان عند العرب قبل الإسلام فمن خلال دراستنا للموضوع وجدنا ان العرب لم تحدد عمراً معيناً للختان فالبعض حدده إذا بلغ الطفل السادسة أو السابعة[١٤٩] في حين يذهب آخرون إلى القول بان العرب كانوا يختتنون بعد ذلك (فيما بين عشر سنين وخمس عشرة سنة)[١٥٠] أي عندما يقترب من مرحلة البلوغ أو يصل إليها[١٥١] ونستطيع ان ندعم ذلك بقولهم:- (كانوا لا يختتنون الرجل حتى يدرك)[١٥٢] أي (حتى يقارب البلوغ)[١٥٣] وكان ابن عباس قد صرح انه كان يوم موت النبي صلى الله عليه واله وسلم مختوناً، فقد روي عنه انه قال (قبض رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وانا ختين أو قال مختون)[١٥٤] ويمكننا تحديد عمره

(١٤٧) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص١٦١.

(١٤٨) ابن دريد، جمهرة اللغة: ٧٨٠/٢.

(١٤٩) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص١٤٧.

(١٥٠) عثمان بن عبدالله بن ربيعة بن الحارث من بني مالك بن حطيط من هوازن، وكان حامل لواء المشركين يوم حنين، وقتل كافراً، راجع، ابن حزم، المصدر السابق، ص٢٦٦.

(١٥١) ابن هشام، السيرة: ٩٤/٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٦٥/٢.

(١٥٢) مليحة رحمة الله، المرجع السابق، ص١٩٢.

(١٥٣) الزبيدي، المصدر السابق، ط الكويت: ٥٤٣/١٢؛ جواد علي، المفصل: ٧٢/٥.

(١٥٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣٥١/٢.

تقريباً بحوالي ثلاث عشر سنة[١٥٥] بل قيل عشر سنوات[١٥٦] وبذلك يكون سن ختانه يتوافق مع الروايات أعلاه بهذا الشأن.

أما عن زمن الختان فأنه يفضل ان يكون في نوء الصرفة لأنه (في هذا الوقت يصلح قطع العروق، والحجامة، وشرب الدواء، وختان الصبيان)[١٥٧].

وكان العرب قبل الإسلام إذا أرادوا ختان غلاماً استفتوا الإله هبل وضربوا القداح فحيث ما خرج به عملوا به[١٥٨].

وللختان فوائد انه يعتبر طهارة وله آثار طبية في الصحة العامة[١٥٩] وهو من النظافة والتزيين وتحسين الخلقة وتعديل الشهوة[١٦٠] وقد أكد علماء الطب في العصر الحديث ان الختان مانع من إصابة العضو بالسرطان[١٦١].

(١٥٥) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص١٤٢، السيد محمد تقي الحكيم، عبدالله بن عباس: ٤٠/١.

(١٥٦) ابن قيم الجوزية، م. ن، ص١٤٢.

(١٥٧) ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣٥١/٢.

(١٥٨) ولد عبدالله بن عباس في شعب أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، ابن حجر، الإصابة: ٣٣٠/٢؛ محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون: ٢٢٥/١؛ السيد محمد تقي الحكيم، عبدالله بن عباس: ٣٩/١؛ وقد حدثت الهجرة سنة ٦٢٢م، هاشم الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص١٠٩، فعليه ان ابن عباس ولد عام ٦١٩م، وقد توفي الرسول صلى الله عليه واله وسلم سنة ١١هـ/٦٣٢م، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣١٧/٢؛ هاشم الملاح، المصدر نفسه، ص١٠٩، وبذلك يمكن حساب عمره عند وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كان ١٣ سنة.

(١٥٩) ابن حجر، الإصابة: ٣٣٠/٢، وهنالك بعض الروايات تشير ان عمره كان خمس عشرة سنة عندما قبض رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، راجع البسوي، المعرفة والتاريخ ص٥١٥؛ابن عبدالبر، المصدر السابق: ٣٥١/٢.

(١٦٠) ابن الاجدابي، الأزمنة والأمكنة، ص١٥١.

(١٦١) الازرقي، اخبار مكة: ١١٨/١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦/٢.

الخاتمة

من خلال ما تقدم يتضح لنا ان العرب قبل الإسلام اهتموا بتنشئة أبناءهم وتربيتهم واعدادهم وقد كانت أغاني المهد تشير بوضوح إلى نوع تلك التربية حيث عبروا من خلالها عن آمال الأسرة وتمنياتها لهم في المستقبل في السيادة والزعامة وقد عينت له أسباب الزعامة بالحسب وبذل الوفر والأدب الجم. كما كانت تلك الأغاني مناسبة اتخذ منها بعض الأزواج مناسبة للتعريض بينهما.

كما تبين لنا من خلال سير البحث ان العرب اعتزازاً منهم بمقدم الطفل وتكريم وفادته لذا فأنهم كانوا يذبحون له ذبيحة تعرف باسم العقيقة، وكذلك يحلقون شعر رأسه ويُسمونه، كما توصلنا إلى ان من مظاهر التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام:- الختان الذي كان معروفاً عندهم ويُعد من المناسبات المبهجة في حياتهم الأسرية. كما توصلنا إلى ان من معاني كلمة الحنيف انهم كانوا يطلقونه على من كان مختوناً ويحج البيت وبهذا المعنى فانها تخرج من دائرة التفسير الضيق لمفهوم الحنفاء التي تشمل أفرادا معدودين منتشرين هنا وهناك إلى الدائرة الاشمل والأوسع لتضم جميع العرب قبل الإسلام الذين كانوا يختتنون ويحجون البيت.